وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰⵢⵏⵣⵔⵉⵙⵙⵏⵜⵉⵏⵏⵉⵣⵣⴰⵔⵉⵜⵏⵏⵉⵜⵓⵔⵉⵜⵏⵏⵉⵙⵙⵏⵙⵙⵜⵉ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜⵏⵏⵓⵎⵙⵓⴽⵜⵏⵏⵜⵓⵣⵔⴰⵜⵏⵏⵜⵙⵙⵏⵙⵙⵜⵉ

جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes

مذكرة لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب حديث ومعاصر

شعرية المكان في رواية "شوك الأسى" لمحمد المعراجي

إعداد الطالبة: بداك صونية

إشراف أ/د: نورة بعيو

لجنـــة المنـاقشـــة		
د . نبيلة زويش	أستاذة محاضرة صنف (أ) جامعة مولود معمري . تيزي وزو.	رئيسة
أ/د . نورة بعيو	أستاذة التعليم العالي جامعة مولود معمري . تيزي وزو.	مشرفة ومقرّرة
د . نعيمة لعقريب	أستاذة محاضرة (أ) جامعة مولود معمري . تيزي وزو .	ممتحنة

السنة الجامعية: 2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

«... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير»

صدق الله العظيم

[المجادلة:11]

كلمة شكر

الحمد لله الملك المحمود والمالك الودود مصوّر كل مولود ومالك كل مطرود، ساطع المهاد وموقد الاطراد، ومرسل الأمطار وعالم الأسرار ومدركها ومدمّر الأملاك ومملكها، ومكوّر الدهور ومكرّرها وموّرد الأمور ومصدرها له الشكر سبحانه وتعالى على توفيقه لي لإنجاز هذا العمل الذي أسأل الله أن يُنفع به.

كما أوجّه أسمى معني الشكر والعرفان إلى أستاذتي المحترمة "نورة بعيو" على مجهوداتها وملاحظاتها القيّمة.

كما أشكر أتقدّم بالشكر الجزيل المناقشة فشكرا لهم جميعا

صونية

إهداء

إلى من قال فيهما المولى عزّ وجلّ "وبالوالدين إحسانا"؛ إلى النور الذي أضاء دربي وجاعلا السعادة رمز يحمله قلبي؛ إلى رجائي في شدتي وعزائي؛ إلى من كرّسا حياتهما في سبيل إعدادي وإسعادي؛ إلى من تعبا في حياتهما من أجل تربيتي وتعليمي وسأضل أعترف بجميلهما مدى الحياة؛ إلى القلبين اللّذان لا يعرفان إلا الحب والعطاء؛ إلا أوّل كلمة نطقها لساني أمي وأبي أطال الله في عمرهما.

إلى من أحبّهن إخوتي.

إلى من أحبهم إخواني.

إلى أغلى ما أملك في الدنيا مؤنسي زوجي وصديقي رمز الحب والعطاء "كريم" وعائلته.

إلى الكتكوتة الصغيرة ابنتي الغالية "سارة".

إلى كل أصدقائي الذين عرفتهم طوال مسيرتي الدراسية.

إلى أصدقائي وصديقاتي الأعزاء.

صونية

مقدمة

حظيت الرواية العربية بمكانة مرموقة بين الأجناس الأدبية، فازداد عدد كتابها واختلفت اتجاهاتهم الفكرية والإيديولوجية، وانتشرت بكثرة حول العالم، إذ تجاوزت الشعر ديوان العرب، كونها تحمل صوت الأديب وآلام الشعوب، فهي تقوم بنقل الأحداث من عالم الواقعي إلى عالم الخيالي (الفني)، وهذا ما جعل الناس تتعلق بها، ولما كان المكان أحد أهم المكوّنات الروائية إزداد تعلق القراء بها، نظرا للعلاقة التي تربط الإنسان بالمكان.

عزمت على اختيار موضوع (شعرية المكان في رواية "شوك الأسى") وذلك لما يتصف به المكان من شعرية تنعكس على العمل الفني، وكذلك إعجابي بالطريقة التي يكتب بها الروائي الجزائري "محمد المعراجي".

أما اختياري لرواية "شوك الأسى" بالذات يرجع الى رغبتي في الكشف عن أسرارها والتي تبدوا كأنها غامضة.

وعليه تمحورت إشكالية بحثنا في الأسئلة الآتية:

1 . كيف تعامل الروائي العربي مع المكان في الرواية.

2 . كيف أسهم المكان في بناء النّص الروائي.

3 . هل للمكان علاقة بتقنيات الرواية الأخرى.

اشتمل هذا البحث على مقدمة وفصلين وخاتمة.

تناولت في العنصر الأوّل الجانب النظري وكان عنوانه بناء المكان في النّص الروائي وله مبحثان هما: ماهية المكان (المكان لغة، إصطلاحا)، وعلاقة المكان بتقنيات الرواية الأخرى، وكل من المبحثين ركّز على المفهوم والعلاقة.

أما العنصر الثاني/الجانب التطبيقي فحمل عنوان تنوع المكان في النص المدونة، تحدثت في المبحث الأوّل عن الأماكن المغلقة، أما المبحث الثاني عن الأماكن المفتوحة وفي الأخير ختمته بمجموعة من النتائج.

ولقد اعتمدت في هذه الدراسة على اجراءات النقد البنيوي.

ولتحليل عناصر البحث اعتمدت مراجع بارزة منها

. كتاب بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي.

. جماليات المكان لغاستون باشلار.

. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا "لمهدي عبيدي".

. بنية النّص السردي "لحميد لحميدني.

ولعل أهم مشكل واجهني في هذا البحث هو عدم تواصلي المباشر مع الأستاذة المشرفة بسبب الحجر المنزلي السابق.

وفي الأخير أتقدّم بالشكر الجزيل إلى أستاذتي المشرفة "بعيو نورة" التي أفادتني بنصائحها وإرشاداتها، وأشكر كل من أسهم في إنجاز هذا البحث.

أولا:

بناء المكان في النّص الروائي

1- ماهية المكان.

2- علاقة المكان بتقنيات الرواية الأخرى.

البناء المكاني

يعد المكان أحد العناصر الضرورية والمهمة في البناء الروائي "سواء كان هذا البناء معبرا عن الواقع المعيش أو آتيا عبر المتخيّل الذهني للقاص نفسه، ويستوعب القاص العلاقات الإجتماعية والثقافية المتبادلة بين الإنسان ومجتمعه وارتباط هذه العلاقات بمكون المكان"[1].

1- ماهية المكان

أ . **لغة:** جاء في لسان العرب "لابن منظور" مادة (كون) باب (الميم) أن المكان والمكانة واحد.. والمكان الموضع والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب يبطل أن يكون المكان فعلا لأنّ العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من مكان أو موضع منه[2].

والمكانة المنزلة عند الملك، والجمع مكانات، ولا يجمع التكسير، وقد مكّن مكانة فهو مكين، الجمع مكناء، وتمكن كمكمن، والمكانة التؤدة أيضا، وجاء في التنزيل العزيز: "اعملوا على مكانتكم"[3].

المكان اسم مشتق يدل على ذاته، أي ينطوي معناه على إشارة دلالية ممثلة تخيل الى شيء معجم مائل ومحدود له أبعاده ومواصفاته ولفظة المكان مصدر لفعل الكينونة والكينونة هي الخلق الموجود والمائل للعيان الذي يمكن تحسسه وتلمسه[4].

---

[1] . سعيد حورانية، جماليات المكان في قصص، دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، سوريا، ط1، 2011، ص39.

[2] . ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994، ص14.

[3] . المرجع نفسه، ص113.

[4] . باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008، ص168.

ويضيف "مضاف ضغدي" في تعريف المكان ويقول: "أنّ المكان في امتداد الأرض هو كل ما يوطأ ويستقر عليه إنّه الثبات وبالتالي يصبح المكان حاملا للأشياء وهو يمكن أن يضمها"[1].

ويقول "الكفوي": "أنّ المكان هو الموضع الثابت المحسوس القابل للإدراك الحاوي للشيء المستقر"[2].

والمكان كائن متجسد يتم إدراكه بواسطة الحواس أو التصوّر الذهني وهذا يؤكد جودة واتصاله بالغيبوبة[3].

من خلال التعاريف اللّغوية السابقة يتضح لنا أنّ المكان عند اللّغويين يعني الموضع الثابت والمحسوس، والحاوي للشيء ويعني كذلك المنزلة والمكانة والمستقر.

ب . المكان اصطلاحيا:

لقد اتخذ المفهوم الاصطلاحي للمكان بعدا فلسفيا مع الفلسفة اليونانية، ويعدّ أفلاطون أوّل من صرّح به استعمالا اصطلاحيا إذ عدّه حاويا وقابلا للشيء، ويعدّ أفلاطون أخذ الاهتمام به يتزايد حتى أعدّه أرسطو ثالث خمسة أشياء مشتملة على الطبائع كلها وهي العنصر، والصور والمكان والحركة والزمان.

في حين يعرفه كل من "إقليدس" و"ديكارت" بأنّه (المكان) هو ما يتضمن ثلاثة أبعاد

[1] . حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مخلوقات الأشواق الطائرة، لإدوارد الخراط نموذجا، دار نينوى الدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2011، ص25.

[2] . المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] . زوزو نصيرة، اشكالية للفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 6، 2010.

هي الطول، والعرض، والعمق، فهو ذو أبعاد محدّدة ومشكّلة[1].

ويعرّفه أفلاطون "بأنه الحاوي للموجودات المتكاثرة، ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر الحقيقي[2] أي أنّ المكان غير مستقر عن الأشياء فهو يحويها ويتشكّل من خلالها.

وكما شغل (المكان) فلاسفة اليونان فقد كان محط اشتغال فلاسفة العرب فهو عند ابن سيناء: "السطح الباطن من الحرم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم الحاوي"[3].

وكذلك نجده قد فرّق بين مفهومين للمكان: المكان الحقيقي والمكان غير الحقيقي، فالأوّل هو السطح المساوي لسطح متمكن وهو نهاية الحاوية المماسة لنهاية المحوي، أمّا المكان غير الحقيقي فهو الجسم المحيط[4].

وقد استخدم كذلك فلاسفة المسلمين مصطلح المكان وأجمع معظمهم على أنّه "الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده ويرادفه الحيّز"[5].

أما فلاسفة العقد الإجتماعي فقد اهتموا بالمكان عند الدراسات الوضعية التي نظرت إلى الظاهرة باعتبارها شيئا ذا أبعاد مكانية وزمنية لا تختلف عن الظواهر العلمية الأخرى في الطبيعيات مثلا وعمل الاجتماعيون الوضعيون على تأكيدهم لهذا التوجّه منذ "أوجيست كونت" و"دوركايم" و"يتم" حيث يقرون بأنّ المكان هو ما تتخذه الجماعة كمسكن لها[6].

---

[1] . عيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2، 2010.

[2] . محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط2، 1984، ص124.

[3] . عيداء أحمد شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، المرجع السابق.

[4] . باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص172.

[5] . زوزو نصيرة، اشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي، المرجع السابق.

[6] . عيداء أحمد شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، المرجع السابق.

ونقول أنّ المكان من المكونات الحكائية التي تشكل بنية النّص الروائي فهو العنصر الأساسي الذي يتطلّبه الحدث الأوّلي للنّص.

جاءت البنيوية بمفاهيم نظرية جديدة أزالت الغبار على كل العناصر المكونة للسرد أن جعلت من المكان عنصرا حكائيا، بالمفهوم ذو المعنى الدقيق خصوصا في الرواية الحديثة، فاعتبرته مكوّنا منه ومن دونه لا يمكن لأي شيء تفسير هذا العمل الأدبي، فحسبها هو مكوّن أساسي في الآلة الحكائية إذ: "إن الرواية الحديثة خاصة منذ بالزاك، قد جعلت من المكان عنصرا حكائيا بالمعنى الدقيق للكلمة فقد أصبح الفضاء الروائي مكوّنا أساسا في الآلة الحكائية"[1]، فالرواية الحديثة غيّرت مجرى المفاهيم وأصبحت تستند للمكان كمكوّن فعلي للآلة الحكائية.

تعدّدت الآراء واختلفت حول تعريف المكان في النقد الأدبي إذ يعتبر تعريف "غاستون باشلار" في كتابه "شعرية الفضاء" الذي ترجمه "غالب هالسا" إلى جماليات المكان، أول تعريف وصل إلى أيدي النقاد حيث يعرف المكان الفني أو الأدبي ويقول: المكان هو الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيّز إننا ننجذب نحوه لأنّه يكشف الوجود في حدود تتسم بالجماعة كما في الصورة، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة المتوازية[2].

والمكان من هذا المنظور هو موقع يعيشه الأديب بعقله ويبقى راسخا في ذهنه ويستحضره في أية لحظة أو موقف.

---

[1] . حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصيات)، المركز الثقافي العربي المغرب، ط2، 2009، ص27.

[2] . غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984، ص60.

والمكان في الرواية تؤسسه اللّغة ويتحدّد جغرافيا، وقد يكون مدركا من قبل حواس الشخصية أو السارد، أو يكون استيهاما وحلميا وفردوسيا مفقودا، وتنتجه الذات أو الشخصية عبر الاستيهامات أو التّذكّر والأحلام ويتلخّص في مجموعة من الأمكنة وتوابعها من أشياء ومؤثرات وغيرها[1].

يعني أنّ المكان الروائي المتخيّل يختلف عن المكان الخارجي (الموضوعي) إلا أنّ السارد يقوم بإيهام القارئ بواقعيته وذلك بواسطة اللغة التي لها دور كبير في ذلك.

المكان في الأدب "ليس مجالا هندسيا تضبط حدود أبعاد وقياسات خاضعة لحسابات

دقيقة، كما هو الشأن بالنسبة للأمثلة الجغرافية ذات الحضور الطوبوغرافيا وإنما يتشكل في التجربة الأدبية، إنطلاقا واستجابة لما عاشه الأديب على مستوى التخيّل بملامحه وظلاله[2].

يعني المكان في الأدب غير محدود ولا يخضع لقياسات هندسية مثل المكان في الواقع.

فالمكان يبقى مهم في الدراسة فهو الذي يبين البعد المادي للنص الروائي ويوضّح الحقيقة الواقعية له، "المكان هو الذي يمثل البعد المادي الواقعي للنّص، وهو الفضاء الذي تجري فيه لا عليه للحوادث ولا نبالغ إذا قلنا: إنّ المكوّن يعد في مقدمة العناصر والأركان الأولية التي يقوم عليها البناء السردي، سواء أكان هذا السرد قصة قصيرة، أم قصة طويلة أو رواية"[3].

فالمكان هو الركن الأول للعنصر المهم في البناء السردي والشيء الذي تجدر الإشارة

---

[1] . حورية الظل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، المرجع السابق، ص27.

[2] . باديس فوعالي يوسف، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، المرجع السابق، ص168.

[3] . إبراهيم خليل: بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون (لبنان)، منشورات الإختلاف (الجزائر)، ط1، 2010، ص131.

إليه في كل مقدمة تحليل نص أدبي.

والمكان الروائي بالمقارنة بالمكان الواقعي إضافة لأبعاده المكانية يتميّز بكونه فضاء لفظي بامتياز، لا يوجد إلا من خلال اللغة ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما والمسرح أي الأماكن المدركة بالحواس فهو فضاء لا يوجد إلا من خلال الكلمات المطبوعة بالكتاب فهو يتشكل كموضوع للفكر يخلقه الروائي بكل أجزائه[1].

إن الأمكنة الواقعية المحددة بأبعادها الهندسية ليست هي المذكورة في الرواية حتى وان تشابهت في أسمائها وصفاتها في الواقع، فعندما يذكر الروائي مكانا ما أو يصفه وذلك لغرض إيهام القارئ بمصداقية الحوادث وواقعيتها.

ويرى "ياسين النصير" المكان في العمل الفني شخصية متماسكة مسافة مقاسه بالكلمات ورواية لأمور غائرة في الذات الإجتماعية[2].

نستخلص من قوله أنّ البعد الفني للمكان عنده قوامه الحياة الإجتماعية والواقع.

أما بالنسبة ل"حسن بحراوي" فالمكان عنده مكوّن أساسي للحدث الروائي إذ يقول: المكان في الأدب ليس مكانا معتادا كالذي نعيش فيه أو نخترقه يوميا، ولكنّه يتشكل كعنصر من بين العناصر المكوّن للحدث الروائي ومهمته الأساسية هي التنظيم الدرامي للأحداث[3].

"فالمكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة بل أنّه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"[4].

وفي الأخير نقول "أنّ المكان لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في

[1] . محمد بوعزة، تحليل النّص السردي الدار العربية للعلوم، ط1، 2010، ص100.

[2] . ياسين النصير، الرواية والمكان، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1982، ص17.

[3] . حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص30.

[4] . المرجع نفسه، ص33.

علاقات متعدّدة مع المكوّنات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والروايات السردية(...) وعدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات والصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النّصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل النّص"[1].

يعرف الباحث "لوتمان" المكان بقوله "هو مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر أو العلاقات أو الوظائف أو الأشكال المتغيرة تقوم بينها علاقات شبيه بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الإتصال، المسافة)[2].

أما "غريماس" فقد انطلق من مفهومه للمكان من منطلق الرؤية إذ يرى أنه 6أي الفضاء الشعبي– حسب اقتراحه موضوع مهيكل يحتوي على عناصر متقاطعة غير مستمرة، لكنها منتشرة عبر امتداده وفق نظام هندسي متميّز بينهم في تصوير التحولات والعلاقات المدركة والمحسوسة بين الذوات الفاعلة داخل الخطاب السردي[3].

فالمعروف أن المكان الروائي هو اللفظي المتخيل الروائي وحاجاته وهذا يعني أدبية المكان وشعرتيه مرتبطة بإمكانيات اللغة عن التعبير عن المشاعر والتصورات المكانية[4].

يعني المكان يرتبط إرتباطا وثيقيا باللغة مما يجعل منه ذلك الذي تنتجه الكلمات وتثريه اللغة، وهذا ما جعل البنيوية يميزون بين المكان الواقعي وبين المكان الروائي، فالمكان عندهم تصنعه اللغة.

المكان مصطلح يمثل عنصر شكلي، من عناصر الفن والكيان الإجتماعي، فهو يعد منن أحد جماليات الفن الروائي، فمن خلال تتبع مسار الشخصيات في تنقلاتها من مكان

[1] . حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع السابق، ص26.

[2] ـ محمد بوجوة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، دار الأمان الرباط، ط1، 2010.

[3] ـ باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، ص ص175 - 176.

[4] ـ سمير روحي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب الغرب، دمشق، (دط)، 2013، ص72.

إلى آخر، نرصد علاقة الأمكنة ببعضها البعض، وعلاقتها ببقية عناصر الرواية[1].

ياسين النصير يضيف أيضا: "المكان عندي مفهوم واضح يتلخص بأنه الكيان الإجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحل جزاءا من أخلاقية ووعي ساكنيه، ومنذ القدم حتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي والقريب الذي يسجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه"[2].

كما يعرف المكان أيضا على أنه: الجغرافية الخلاقة في العمل الفني وإذا كانت الرؤية السابقة له، فهو الوسيلة لا غاية تشكيلية، ولكنها وسيلة فاعلة في الحدث، وسيلة محتوية على تاريخية الحدث[3].

أي أن المكان هو الوسط الذي يعيش فيه الإنسان يتأثر ويؤثر فيه وهو جزء لا يتجزأ من حياته يعتبر المكلان حاضر وماضيه الذي يسجل فيه ثقافته وتفكيره وكل ذكرياته.

المكان هو العالم الفسيح الذي تنتظم فيه الكائنات والأشياء والأفعال بقدر ما يتفاعل الإنسان مع الزمن يتفاعل مع المكان بل يمكننا القول إن تاريخ الإنسان فهو تاريخ تفاعلاته مع الفضاء أساسا[4].

ويصرّح خالد حسين حسين بأن "الفضاء بمعنى الأمكنة المتواجدة على الشريط اللغوي، التي تعد ساحة صراع للقوى النصية، هو الذي يشكل بؤرة للقراءة وموضوعها وهدفها في

[1] . علا عبد الرزاق: جمالية الفضاء المكاني في رواية الولي الطاهر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد الخامس، ص91.

[2] . ياسين النصير: الرواية والمكان، المرجع السابق، ص ص16-17.

[3] . المرجع نفسه، ص18.

[4] . نصيرة زوزو: اشكالية الزمان والمكان في الجطاب النقدي العربي المعاصر، ص3.

الاستنطاق والتأويل[1].

إنطلاقا من التعاريف السابقة يبين لنا أن للمكان عدة تسميات كالفضاء الفارغ، الحيّز كما نلاحظ نوع من التداخل والتشابك بين المصطلحات السابقة إذ يرى البعض أن مصطلح المكان والفضاء لهما نفس المعنى صرح خالد حسين حسين بأن "الفضاء بمعنى الأمكنة المتواجدة على الشريط اللغوي، التي تعد ساحة صراع للقوى الشعبية، هو الذي يشكل بؤرة للقراءة وموضوعها وهدفها في الاستنطاق والتأويل"[2].

إذ كان البعض يرى أن الفضاء هو المعادل لمفهوم المكان وأنهما مصطلحان يراد بهما المعنى نفسه، فإن حميد لحميداني الذي خصص جزء من كتابه بنية النّص السردي "معنونا إياه نحو تمييز بين الفضاء والمكان حاول التفريق بينهما ويقول فيه: "إذا نحن نظرنا إلى طريقة تحديد ووصف الأمكنة في الروايات، نجدها أداة تأتي متقطعة ولسنا في حاجة إلى التذكير بأن ووصف الأمكنة في الروايات، نجدها أداة تأتي متقطعة ولساني حجة بأن ضوابط المكان في الروايات متصلة عادة لحظات الوصف وهي لحظات مستقلة أيضا تتناوب في الظهور مع السرد أو مقاطع الحوار، ثم إن تعبير الأحداث وتطوّرها يفترض تعددية الأمكنة واتساعها وتقلصها حسب طبيعة الرواية لذلك لا يمكننا الحديث عن مكان واحد في الرواية وأن مجموعة هذه الأمكنة هو ما يبدوا منطقيا أن نطلق عليه إسم فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكوّن الفضاء)[3]، بمعنى يعتبر المكان جزء من الفضاء الروائي وتوجد بينهما صلة وثيقية.

وفي الأخير نستنتج بأن الدارسين والنقاد لم يجمعوا على تعريف موحّد للمكان، لأن المكان عنصر زئبقي لا يستقر على حال، لذلك نال خطوة كبيرة في الأدب النثري عامة

[1] . نصيرة زوزو: بناء المكان المفتوح، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب العربي، العدد الثامن، 2013.

[2] . نصيرة زوزو: المرجع نفسه

[3] . حميد لحميداني: بنية النص السردي من المنظور النقد الأدبي، ص ص62-63.

والرواية خاصة، ليصبح المحور الذي تبنى عليه عناصر العمل الفني، واختلاف الآراء حول المصطلحات الثلاث، الخير، الفضاء، المكان، دليل على اتساع وتشعب عنصر المكان في العمل الروائي.

وفي الأخير نقول أنّ المكان هو أساس الحياة وعمادها، وهو مرتبط بمختلف مكونات السّرد.

المبحث الثاني: علاقة المكان بتقنيات الرواية الأخرى

يرتبط المكان إرتباطا وثيقا بمختلف مكوّنات الرواية، فلا نكاد نجد أحدهما يذكر بعيدا عن الآخر، فالمكان لا يعيش منعزلا عن بقية عناصر السر وإنّما يدخل في علاقات متعدّدة مع المكوّنات الحكائية للسرد، و تفسير ذلك أنّ كل قصة تقتضي نقطة انطلاق في الزمن ونقطة إدماج في المكان، أو على الأقل يجب أن يعلن عن أصلها ألزماني والمكاني معا، فالرواية القائمة أساسا على المحاكاة لا بدّ لها من حدث وهذا الحدث يتطلّب بالضرورة زمنا ومكانا، إلا أنّ المكلان الروائي هو الذي يستقطب جماع إهتمام الكاتب وذلك لأن يعين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيلي[1].

فالمكان يقيم علاقات قوية مع هذه العناصر، لذلك لا يمكن فهم وتأويل أي نص روائي إلا بوجوده، فالمكان بأهميته ومميزاته وأنواعه وعلاقاته ذو أهمية كبيرة فهو العنصر الرئيسي الذي تحتاجه العناصر السردية الأخرى، "فالمكان هو الذي يقتضي وجود الشخصيات وليس العكس..."[2] كون الشخصيات تعيش على أرضية المكان فهو الذي يستلزم عند تواجده وجود الشخصيات.

[1] . ينظر: حميد لحميداني: بنية النص السردي من المنظور النقد الأدبي، ص30.

[2] . حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع السابق، ص31.

أ . علاقة المكان بالشخصيات:

وعن العلاقة التي تشمل المكان والإنسان يقول في هذا الشأن "غادة عقاق": "يلعب المكان دورا مهما وحاسما –منذ القدم– في تكوين حياة البشر وترسيخ كيانهم وتثبيت هويتهم وتأطير طبائعهم وطبعا بطابعه الخاص (أي طابع المكان) وبالتالي تحديد تصرفاتهم وتوجهاتهم وإدراكهم للأشياء، وهذا لكونه أشد التصاقا بحياتهم وأكثر تغلغلا في كيانهم وأعمق تجادلا مع ذواتهم"[1]، نفهم أن المكان حقا دورا مهما في حياة البشر، فالعلاقة التي تربطه بالإنسان هي علاقة وطيدة، وهو الذي ينبئنا بطبائعهم ويبين لنا تصرفاتهم لأنه أشد التصاقا بحياتهم ونستخلص أن الإنسان مختلف عن الآخر نظرا لاختلاف الأمكنة التي يقيمون فيها وينتمون إليها فللمكان طبائع متعددة والبشر يتميزون وفق نوع المكان.

إنّ المكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية إلا أنه لا يتبلور ولا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تشغله وتصنع الأحداث وتكشف عن أثر المكان بها وأثرها في هذا المكان "أي إن الشخصيات تضفى على المكان دلالات مجارية، يحققها المؤلف من خلال نزوع الشخصيات البطلة في خلق نظام مكانيي يؤسس ضمن فوضى المكان الذي يزجهم فيه المؤلف، والذي يحقق أيضا منظوره الفلسفي والجمالي من جانب، ومنظور أبطاله الإيديولوجي والنفسي في جانب آخر"[2].

إذا عندما تتفاعل الشخصية مع المكان بكل أبعادها يدخل المكان عنصرا فاعلا في تطوّر الشخصية وبنائها وطبيعتها التي تكتسب منه الدلالة وتعطيه معناه، وبالتالي يتجاوز المكان وظيفته الأولية ومعناه الهندسي المحض إلى فضاء المكان والعلاقات المتشابكة

[1] . غادة عقاق: دلالة المدنية في الخطاب الشعري العربي المعاصر (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، ص256.

[2] . مهدي عبيد: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، دراسات في الأدب، منشورات الهيئة العامة، السورية، دمشق، ط1، 2011، ص188.

والأحداث التي تجري ضمنه متأثرة به ومؤثرا فيها، وبهذا يمكن أن تعّ هذه العلاقة الجدلية والمتنامية والفاعلة والمنفعلة بين المكان والشخصية تجعل من المكان العمود الفقري الذي يربط الرواية بعضها البعض[1].

إن حركية المكان وشموليته تنبثق من حيوية الشخصية ومن سيولة المكان المتدفقة دون توقف أي من العلاقة الجدلية وعلاقة التأثير المتبادل أو التضاد والتنافر ما بين المكان وللشخصية، والمكان والشخصية.

إن حضور المكان في العمل الروائي يتطلب حضور شخصيات تحاكي المكان "إن المكان لا يظهر إلا من خلال وجه نظر شخصية تعيش فيه أو تخترقه وليس لديه استغلال إزاء الشخص الذي يندرج فيه وعلى مستوى السرد فإنّ المنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدّ أبعاد الفضاء الروائي ويرسم طوبوغرافية، ويجعله يحقق دلالته الخاصة وتماسكه الإيديولوجي"[2].

فالمكان بكل أنواعه هو الإطار الأساسي للإنسان فالسطح والدار والقرية كلها أماكن يتخذها الكائنات لتتعايش فيها، إذن العلاقة بينهما إيجابية، فالمكان الدعم الرئيسي لحياتها فهو يوفر لنا الأمن والسكن والاستقرار والغذاء وغيرها من الأمور الرئيسية.

إن علاقة المكان بالشخصيات هي علاقة التأثير والتأثر، حيث أنّ الشخصية هي التي تقوم بتسيير الأحداث وتساعد في تشكيل البناء المكاني، فالحالة النفسية التي تعيشها الشخصيات تكشف من خلال المكان "وذلك من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح بإمكان بنية الروائي

[1] -مهدي عبيد: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، دراسات في الأدب، المرجع السابق، ص189.

[2] . حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص32.

أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصيات، بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها"[1].

فمن خلال المكان يمكننا أن نتعرّف على الأشخاص نفهم طبيعة لغتهم وطريقة تفكيرهم لأن المكان هو الوحيد الذي يحدد التصرفات والنشاطات التي تقوم بها الشخصيات التي تسكنه فيه يمكن إيضاح عدّة أمور عن الشخصية الحكائية كونها لا تبارحه إطلاقا لأنّ مقر عيشها منذ نشأتها.

المكان له صلة قوية بحياة الإنسان باعتباره جزء مهما في عملية تواصله مع الحياة إذ أنّه "إحدى المميّزة للكتابة الروائية الجديدة، أيه كتابة روائية تريد لنفسها أن تكون جديدة"[2].

"المكان يشمل ما فيه من الأشياء والألوان والأصوات والروائح وهذه الأجزاء تدلّ على أحاسيس الشخصية وأفكارها"[3].

المكان والشخصية تربطهما علاقة جدلية لذلك نجد "محمد عزام" يشير لهذا العلاقة قائلا "المكان عنصر فاعل في الشخصية الروائية، يأخذ منها ويعطيها، فالشخصية التي تعيش في جيل يطبعها الجيل بطباعه، فيظهر أثره في طابع السكان وسلوكهم، والشخصية التي تعيش في المدن بطابعها، ويتجلى أثر ذلك في سلوكها أيضا، كما يؤثر المكان في السكان، فإنّ السكان أيضا يؤثرون في المكان بعلاقة جدلية"[4].

تعني أنّ المكان يترك بصمة على الشخوص وكذلك هي الأخير بدورها تترك أثر في

---

[1] . حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص30.

[2] . حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص60.

[3] . مريم أكبرى موسى، محمد خاقاني أصفهاني، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، اضاءات نقدية، العدد التاسع، 2012.

[4] . محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، اتحاد الكتاب العرب، (مذكرة الماستر)، سعيدة العمري، خديجة معموري، بنية الزمان والمكان في الرواية زهرة العوسج لراضية فعلول، جامعة بسكرة، 2008، ص78.

المكان.

المكان "أصبح ينمو جنبا إلى جنب مع الشخصية وينغرس في العملية السردية فيطبع ذلك الرواية بشعرية خاصة"[1]، وهذا يعني أنّ علاقة المكان بالشخصية علاقة جوهرية فلا يمكن تصوّر وجوده بونها، لأنّه هو من يحدّد هويتها وكينونتها.

ب . علاقة المكان بالزّمن:

إن تطوّر الهام الذي حدث في نظريات المكان بعد اعتباره ضرورة قبلية لإدراك العالم، كما طرحته فلسفة كونت صوما أحدثته نظرية النسبية لانشتاين في عد المكان ليس مفصولا عن الزمان مما يعطي متصل الزمكانية، مما يعني انتقاد فكرة الحلو المكاني أو الزماني وانتقاء فكرة الزمان، فالزمان حسب صموئيل الكسندر مصدر الحركة في اتصاله بالمكان[2]، "إن اقتران للزمان والمكان وتداخل إحداهما بالآخر موضوعيا يشكل حياة وخير كل تجربة وحدث، إذ يعد المكان والزمان من أهم عوامل التجربة الأدبية وبواعثه"[3].

أما كمال أبو ديب: "فيرى استحالة فصل الزمان عن المكان، فقد أطلق عليهما مصطلح جمع بينهما أسماء "الزمكان"، وبذلك يتسع مفهوم الفضاء ليشمل الزمان والمكان معا، وأن كلا منهما لا يتحقق من ون الآخر"[4].

يتضمن المكان والزمن بشكل أو آخر، فالمكان تجربة حياتية يحدد وجودها واستمرارها

---

[1] . حورية الظّل، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، المرجع السابق، ص275.

[2] . الأخضر بركة: الريف في الشعر العربي الحديث، قراءة شعرية للمكان، دار العرب للنشر والتوزيع، دط، 2002، ص14.

[3] . حيدر لازم مطلك، الزمان والمكان في شعر أبي طيب المتنبي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 2002، ص153.

[4] . حسين علي الدخيلي: الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، دار الخامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011، ص16.

الإنسان في تشكيل المكان وإبداعه، وعندما تتحدث عن مكان فإننا نتحدث عن زمانه ولذلك يعد مفهوم الزمن الروائي مكوّنا أساسيا في بنية النص السردي الروائي، ويمثّل الزمن محور الرواية وعمودها الفقري الذي يشدّ أجزائها لما هو محور الحياة ونسيجها[1].

عندما نتحدث عن المكان يتبادر إلى ذهننا مباشرة كلمة زمان بل عنصر الزمان هو أيضا مكونا أساسيا للقصة وكان الثاني يكمل الأول والأول يستغني عن الثاني، حتى أن الدراسات الحديثة اختصرتهما في الزمكان على الرّغم من أنّ المكان إدراك حسيا والزمان يدرك إدراك غير مباشر، ومن خلال فعله في الأشياء فهما عنصران يتداخلان تداخلا مباشرا ومتكامل في شخصيات القصة وأحداثها[2].

وعلاقة المكان بالزمان هي "علاقة المتغيّر بالثابت وهي أيضا علاقة المتغيّر (أي الزمان) بعناصر البناء الروائي (أي المكان والشخصيات)، والمكان والزمان مكونا الفضاء الذي تشكل فيه الوجود الإنساني ولكل رواية علاقة خاصة تربط بين الزمان والمكان وتتسع هذه العلاقة بمجموعة من القيم الجالية والإجتماعية والفنية التي تشكل فضاء الرواية، حيث أنّ فضاء الرواية يتشكل من بعدين أفقي والآخر عمودي مكاني"[3].

وعليه فالمكان يقيم عدّة علاقات مع العناصر السردية لكن علاقته بالزمن هي علاقة ضرورية بحيث ذكر الأوّل يستدعي بالضرورة ذكر الثاني، ونجد زمن الرواية في الثورة التحريرية الكبرى 1954، في "فيالار" قرب مدينة "تيسمسيلت"، وللزمن فهو الذي يجعلنا نحس بالقترة التي تعيش فيها الشخصيات والى أي حقبة زمنية ليصل "غاستون باشلار" إلى

---

[1] . مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة، دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، ط1، 2011، ص22.

[2] . ينظر: وريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمر للطباعة، الجزائر، ص30.

[3] . حميد لحميداني، بنية النّص السردي، من منظور النقد الأدبي، مرجع المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط3، 2000.

أن : "المكان في مقصورته المعلّقة التي حصر لها يحتوي على الزمن مكثفا هذه وظيفة المكان"[1]، أي لا يمكن أن نفصل الزمان عن المكان.

أما "هيثم علي الحاج" في كتابه الموسم ب: "الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي" فقد بيّن العلاقة القائمة بين الزمن والمكان بقوله: "إكتسب المكان قيمة أكبر من حيث ارتباطه بالزمان في الدراسات خاصة الفيزيائية الحديثة منذ ظهور النسبية بدأ طرح فكرة اتصال الزمان والمكان في مفهوم الزمكان، حيث لا ينبغي أن تصد منا فكرة النظر إلى الزمن بوصفه بعدا رابعا شبيها على نحو ما بأبعاد لفترة متناهية من الزمان"[2]، حيث نرى من خلال قوله أنّه اعتبر كل من الزمان والمكان كثنائية من أهم مكونات النّص السّردي التي تبرز جماليته، وكليهما غير مقيّد بقانون سوى قانون الجمال.

ويرى "باختين" أنّ "أشكال الزمكانية في صورها المختلفة تجسد الزمن في المكان وتجسّد المكان في الزمن دون تفصيل أحدهما عن الآخر ويقول أنّ المكان يصبح مشحونا ومستجيبا لحركات الزمن والحبكة والتاريخ"[3].

من خلال ما قاله "باختين" أن الزمان يكمّل المكان والمكان يكمّل الزمان ليشكلا أشكال الزمكانية المشحونة بحركات الزمن حبكة التاريخ.

[1] . ميحان الرويلي، سعيد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص171.

[2] . غاستون باشلار، جماليات المكان، المرجع السابق، ص46.

[3] . هيثم علي الحاج، الزمن النوعي واشكاليات النوع السردي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص141.

ثانيا:

أنواع المكان في رواية "شوك الأسى" لمحمد المعراجي

1- الأماكن المغلقة.

2- الأماكن المفتوحة.

تختلف الأماكن مساحة وحجما منها، المتسع والضيق والمرتفع والمنخفض، لذلك اختلف الباحثين في طريقة معالجة وتقسيم المكان في الرواية ويقول "لحميداني": "إنّ الأمكنة بالإضافة إلى اختلافها من حيث طابعها ونوعية الأشياء التي توجد فيه تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق أو الانفتاح والانغلاق"[1].

1- الأماكن المغلقة

وهي الأماكن التي تكون عادة محدودة والتي لها دور هام في رسم الخط العام في الفعل القصصي، مثل السكن إذ نجد فيه الشخصيات حريتها الكاملة فيه فالعلاقة تبدأ بين الإنسان والسكن لحظة ميلاده وتطوّره وتفاعله، وهو يمثل أيضا مأوى للإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين، ويكون محيطه أضيق بالنسبة للمكان المفتوح، كما يمكن أن يكون هذا النوع من الأماكن مرفوضا نظرا لضيق مساحته وصعوبة الولوج إليه، وهي عادة أماكن مليئة بالذكريات والأفكار والآمال وفي بعض الأحيان بالخوف والذعر، ومن مميزات هذا النوع من الأماكن أنّها تجعل من فيها منعزلا وذا خصوصية في خارجها، ويكون التواجد في هذه الأمكنة أطول فترة زمنية، لأننا نحن الذين نختار من يكون في داخلها، وهي الوحيدة التي يمكن أن تستوعب همومنا، وفيها نستطيع أن نعمل بخصوصية متناهية وهي تبعث الأمان فينا، ومن أمثلة هذا النوع البيت"[2].

وتنقسم هذه الأماكن إلى أماكن الإقامة الاختيارية "فضاء البيوت" وأماكن الإقامة الإجبارية "فضاء السجون" ويمكن تسمية هذه الأماكن بالأماكن المغلقة الاختيارية وأماكن مغلقة إجبارية.

وهذه الأماكن الاختيارية والإجبارية لا تدل على أنّه من المستوجب أن تكون كل

[1] . حميد لحميداني، بنية النّص السردي، المرجع السابق، ص72.

[2] . الحربي رحيم علي جمعة، المكان ودلالته في الرواية العراقية، نقلا (رسالة الماجستير) قصي حاسم أحمد الجبوري، المكان في روايات تحسين كيرماني، 2015، جامعة آل البيت.

الأماكن الإجبارية مغلقة أو اختيارية مفتوحة وقد يكون السجن مفتوحا خلافا للدلالة والحال أنّه مؤطر بجدران أربعة وذلك الانفتاح للأفكار الثائرة للسجين إذن إن لعلاقة الشخصية مع المكان دورا مؤثر في تحديد نوع المكان.

وإذا تمعننا في أبعاد الوضع الإجتماعي الذي أنشأ، مثل هذه الأمكنة، حيث نجد أنفسنا أمام حقيقة واحة هي إن الأنظمة الرجعية باستمرار تخلق لها روائع تكون السجون إحداها، أي أماكن مضادة للحرية، حرية الشخصية على الأقل، ولكونها كذلك لبد أن تكون طبقة مكثفة الحضور.

1 . البيت:

يعدّ البيت من الأماكن المغلقة التي ينتقل فيها الإنسان بحرية وفي دراسة البيت الإلهام بجميع أجزائه، وهيكله والدلالات المرتبطة به، ولا يقتصر النظر إليه كركام من الجدران والأثاث والوصف الخارجي أو صفاته الملموسة بل يجب النظر إلى الدلالة الكامنة فيه... باعتباره فيضا من المعاني والقيم فالبيوت تشكل أنموذجا لقيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات داخله، لا سيما وأن البيت هو امتداد للإنسان يمثل استقراره والإحساس بالارتباط به، فإذا وصفت البيت وصفت شخصية وعبرت عنه..."[1] للبيت علاقة وطيدة بالإنسان.

أ- منزل أنطوان في المزرعة:

يعتبر هذا منزل السكن الأوّل المذكور في الرواية، والذي كان من المفترض أن يكون ملك البطل "سعيد" لو لم ينتزعه أنطوان من السيد عربي أبي سعيد، ونجد الروائي اختار أن يطلق عليه لفظة منزل في بعض الأحيان بدل لفظة بيت وهذا ربما كونه أشبه بالقصر منها بالمنزل المحترم أو ما تلبث فيه الشخصية حتى تنتقل لغيره من الأمكنة، وإختلاف اللّفظتين

[1] . عنية بوحرة، مجلة المخبر، العدد التاسع، 2013، ص197.

لن يغيّر من كونهما بمثابة مكانا واحد فالبيت والمنزل والدار والكوخ والخيمة وغيرها لها معنى واحد وهو المسكن والذي يلجأ إليه الإنسان.

ويعتبر البيت دائم الذكر في الرواية عن طريق استرجاع الشخصيات لذكراه، وفي هذه الرواية نجد هذا المكان مسترجعا من خلال ذاكرة شخصياتها (فاطمة) وهذا راجع إلى كونها عاشت معظم طفولتها فيه "أليس أنطوان هو الذي قام بتربية فاطمة...ألم تعطي لها أوحيني كل الصلاحيات..."[1] وهذا ما جعلها تتذكر المنزل وتسترجعه رغم انتقالهم منه، إذ تطمع أن يكون يوما ما ملكا لها وتعيش فيه مع سعيد. "فهل يستطيع سعيد أن يأخذ المزرعة عندما يطرد المستعمرون؟ بالطبع يا فاطمة ستعيشين معه معيشة سعيدة لا مثيل لها[2].

ولقد أفصح "باشلار" أن البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية ومبدأ هذا الدمج وأساسه هو: أحلام اليقظة، ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة كثيرا، ما تتدخل أو تعارض وفي أحيان تمشط يعضها بعضا، في حياة الإنسان، ينحى البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية ولهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائن مفتتا، إنّه البيت يحفظه غبر عواصف السماء وأهوال الأرض"[3]، فقيمة البيت لا تكمن في شكله الهندسي فقط والذي لا معنى له بل في إنسانيته والأحلام التي تتغلغل في أجوائه والذكريات التي تجول في أركانه.

ويقع هذا المنزل في مزرعة قرب "فيالار" (تيسمسيلت) وتسكنه معظم شخصياتها الروائية فهو يشبه القصر لكثرة الخدم فيه ولرقيّه، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على ثراء وتنعّم الشخصية التي تقطن هذا المنزل وبالتالي تكوين الوضع الإجتماعي للفئة التي تأهله

في حين يعاني معظم سكان الجزائر فالقهر الإجتماعي.

---

[1] . محمد المعراجي، رواية شوك الآسى، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2004، ص36.

[2] . الرواية، ص144.

[3] . غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، بيروت، ط3، 1987.

ولقد لاحظنا أن الروائي قام بذكر الجزئيات المكانية وتفاصيل تشيد المنزل، أي أنّه أبرز معالم المنزل وما فيها من أشياء وغرف، حيث كان وصفه له بالتفعيل، كما أنّه ذكر بيوت أخرى.

2- الكوخ:

يظهر في الرواية مسكن آخر هو كوخ عائلة "علي" في المدينة، وهو السكن الذي لجأ إليه هو وعائلته عندما فقدوا بيتهم في الريف قرب مدينة "سيق"، لقد قام السارد بوصف هذا المكان قائلا: "وما كدنا رج من البيت حتى بادرني بالقول أملأ عينيك يا ولدي بهذه الخبرات التي رزقنا اللّه إياها ولم نحسن تسييرها"[1] و"وتوجه أبي من يومه إلى وهران.. عاد بعدها لترحيل العائلة فسكنا ذلك الكوخ الحقير"[2]، والمقطع الآخر: "إنها والله سنة مشئومة تلك التي تركنا فيها ضيعتنا وتوجهنا إلى وهران لنسكن كوخا حقيرا وبجوار أشخاص غرباء عنا، لا يعرفون الرحمة، إنهم يسكنون مثلنا في الأكواخ ولكنهم ليسوا مثلنا، إنهم يتعاطون السرقة في المدينة ويختفون في الأكواخ وتأتي الشرطة للبحث عنهم فتفتش كوخنا على الأقل ثلاث مرات في الشهر بحثا عن المجرمين وما نحن بمجرمين"[3].

لقد رسخ هذا السكن (الكوخ) في ذاكرة "علي" والتي لم يعد سردها لأي أحد كان، حيث أنّه عاش شبابه في هذا المكان وتعلّم فيه مهنة الميكانيك.

3-المسجد:

مكان للعبادة والتفرغ إلى الله وتلقين الدروس والمواعيد وملجأ المؤمنين المتقين، وهو مكان مقدّس، واجتماعي يجتمع فيه الناس لأداء فريضة الصلاة والطقوس الدينية كتلاوة القرآن الكريم، أما في المجال الأدبي يوظفه الكتاب للتحدث عن الشخصية الملتزمة بالدين

[1] . الرواية: ص44.

[2] . المصدر نفسه، ص56.

[3] . نفسه، ص41.

الإسلامي، وهذا ما حدث في رواية "شوك الأسى" التي كثر فيها كلمة "المسجد" فنجد "على صديق سعيد رجل متدين وثائر على العلم وثابت في أعماله وقد عرض على أنه سيكون مستعدا للقيام بأي عمل تكلّفه به إذا دعت الحاجة لذلك، فقد رأيته يرتاد المسجد كل يوم جمعة، فهو لا ينقطع على الصلاة، وهذه فصيلة تؤكد لنا مدى ثباته وحسن سيرته وهو كذلك يعمل في المزرعة بصفة منتظمة وبضبط كامل"[1]، فالمسجد هو مكان مغلق، فالشخصيات المتواجدة في الرواية معظمها مسلمة تؤمن بالدين الإسلامي من بينهم "علي"، "سعيد"، "الخضار" صاحب الدكان الذي يعمل فيه سعيد، والمعلم "أحمد" ومجموع العقلاء الذين يجتمعون في المسجد لإقامة الصلاة خاصة يوم الجمعة، وكذلك لحفظ القرآن الكريم "حفظت ثلاثين حزبا من القرآن الكريم"[2]، وتطن لتعودهم والتزامهم بالصلاة وحفظ القرآن أصبحوا متدينين وملتزمين، ولكنه الآن رجل بأتم معنى الكلمة ينظر إلى الواقع موضوعي لا تفوته صغيرة أو كبيرة ولهذا فكلما يرجع إلى ذاته يستعيد الثقة في نفسه وفي مستقبله ويبدل ثورته الداخلية بنوع من الاتزان قلما نجده لدى الرجال الآخرين، ولهذا نراه يستغفر الله ويقوم للصلاة التي وجد فيها سرا لا يعوّض بأية كنز من الكنوز مهما كانت قيمته، "وكذلك أمام الزجاجة فإنها تحتوي على مشروب كحولي وأنا لا أشربه لأنني مسلم"[3].

من خلال هذا المكان يتبين لنا أن هذا الأخير مكان عام يقصده المسلمون عدّة مرات في اليوم لأداء فريضة الصلاة، الصلاة التي تعتبر ركنا من أركان الإسلام، لينالوا الأجر العظيم عند الله والتكفير عن ذنوبهم بالتوبة والنصوحة.

هذا المكان يقصده عدد كبير من الناس، كبير صغير، أبيض، أسود، الشيوخ، الشباب، الذكور، ومن كل النواحي يشرط أن يكونوا معتنقين الديانة الإسلامية.

---

[1] . الرواية، ص149.

[2]. المصدر نفسه، ص85.

[3] . نفسه، ص57.

نلاحظ أن للكاتب في هذه الرواية تحدث عن المسجد ليبين لنا مدى التزام بعض الشخصيات واستقامتها وتدينها بالديانة الإسلامية.

4- الغرفة:

كما نجد أيضا الغرفة التي هي جزء من البيت إذ تعتبر جزء من الأمكنة المغلقة وهي

المكان الطي يلجأ إليه الإنسان لشتى أغراض خصوصية يقول: ياسين النصير" هي بقع فوق الأرض تحجب النور وتصنعه، لباحتها الصغيرة إمكانية تعويضية عن الفضاء المسيح الأقل المتجدد، واستطاع الإنسان بخبرته وحاجاته وتعدد أزمنته وتعاقبها أن بوطن نفسه السكن فيها والسكن فيه[1]، ووردت عدة مرات مثل: ...ثم أكثرت الحليب والمعجون والبيض والقهوة ورتبت غرفة الأكل على أحسن ما يرام.. وبعد بضع دقائق دخلت ماري غرفة الأكل وتبعتها أوجيني بينما كانت فاطمة تقوم بآخر ترتيب للسفرة.."[2] وكذلك: "وخرجت ما ري من غرفة الاستحمام الواسعة.."[3] وأيضا: "أرى حلا آخر وذلك بتغيير مكان الموعد بصفة نهائية، فأنت تسكن في المزرعة وغرفتك قرب الإسطبل.. أرى نفسي مضطرا أن أطلب منك خدمة.. لا بأس أن تصير غرفتي مقر لمواعدكما، وأنا أعرفك عاقلا ولا يتسرب إلى ذهنك تجاوز الحدود الشرعية"[4]، وأيضا: " فقام وتوجه إلى مرآة مغلقة على جدران من الغرفة فإذا بوجهه أصفر وعليه علامات تعب لا متناه كأنها حمل الدنيا برمتها على كتفه ولهذا نراه يستغفر الله ويقوم للصلاة.."[5].

---

[1] . ياسين النصير، الرواية والمكان، المرجع السابق، ص74.

[2] . الرواية، ص107.

[3] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] . نفسه، ص ص93- 94.

[5] . نفسه، ص57.

و"ذهبت إلى غرفتنا لتر لي لباسا يليق بالمقام"[1]، وأيضا: "أسرع ! إن البرد سيقتلني اليوم لا محالة ماذا تنتظر؟ خذني إلى غرفتي... وهو لا يعرف غرفتها فطلب أين غرفتك.... فأسرع ثم بدأ بفكر في الملابس.. ووضعها على السرير واتجه نحو الباب"[2]، "وخرجت فاطمة متوجهة إلى غرفة نوم أوجيني لترتيب الفراش كعادتها"[3].

نستنتج من خلال الأمثلة السابقة الذكر أن الغرف تتعدد أشكالها وأحجامها واستعمالاتها، فنجد في المثال الأوّل تستخدم لغرض الأكل والشرب وفي المثال الثاني للاستحمام والثالث كمكان للمواعيد الغرامية والمثال الرابع للراحة البدنية والنفسية، لما لا بما أنّه يقوم للصّلاة والاستغفار.

أي للعبادة، وفي المثال الخامس للتزين وإظهار جمال الإنسان والمثال السادس للنوم، فالغرف تختلف بحسب إحتياجات الإنسان لها.

5- القاعة الكبيرة(الصالون):

1_ كما نجد نوع آخر من الأماكن وهو القاعة والتي هي جزء من البيت وتمتاز بمساحتها الكبيرة، ونجد أنّ الرواية قد أطلقت عليها مصطلح الصالون في بعض الأحيان إلا أنّ اللّفظين لهما نفس المعنى.

2_ وردت عدّة مرات مثل: "ودخل أنطوان وأوجيني قاعة الاستقبال فعلت الإبتسامة مرة أخرى وجه أنطوان وقال: سيأتي الضيوف بعد قليل... وجاء أوّل ضيف وهو غوميس وتبعه جوزيف وهكذا حتى امتلأت القاعة... ووقعت ماري في باب القاعة وقالت: حفلة ممتعة

[1] . الرواية، ص247.

[2] . المصدر نفسه، ص ص126-127.

[3] . نفسه، ص14.

وسهرة طيّبة.. ثم قام غوميس ورفع كأسه بعد أن امتلأ الجميع كؤوسهم وشربوا"[1].

3_ وقد قام السارد بوصف هذا المكان قائلا: "ودخلت إلى الصالون المؤثث بأثاث من طراز "لويس السادس عشر" وارتمت على الأريكة الكبيرة بكل طولها وأخفت إلى الرّف على يمينها فرأت كتبًا مصفوفة وأخذت كتابا ثم استرست في القراءة"[2].

4_ وكذلك "إنها في الصالون تطالع.. آه ليس الوقت وقت المطالعة"[3].

5_ إنّ وصف السارد الصالون يجعلنا نتصوّر هذا المكان ونتفاعل مع السارد في تجربته الشعرية ونكمّل تصوّر وتخيّل باقي التفاصيل الأخرى.

انطلاقا من الأمثلة السابقة الذكر نلاحظ أنّ القاعة تعددت استعمالاتها وذلك حسب الحاجة، فنجد في المثال الأول استخدمت للضيوف والمناسبات والأفراح والسهرات الليلية والاستمتاع والمثال الثاني الاجتماعات العائلية والاستراحة والمطالعة.

6- المكتب:

يعدّ "المكتب" مكان عمل من حيث القيام بعدة مهام إدارية في حين يمكن اعتبارها أيضا مكان إقامة اختيارية، ويتجلى ذلك في الرواية عند ما طلب العقيد من الجنود إحضار الرجال ليكلّم إليهم وهذا ما يجسده المقطع الثالي:"وطلب العقيد أن تحضر له بعضهم ليتكلّم إليهم قبل البدء في الإستطاق فأخرج الجنود من صفوف المعتقلين خمسة رجال وطلبوا منهم أن يتبعوا النقيب إلى المكتب العقيد فامتثلوا وهكذا دخلوا في ذلك المكتب المخيف وكل واحد منهم يفكر في مصيره بعد هذه المقابلة مع قائد جنود الاحتلال"[4].

---

[1] . الرواية، ص248.

[2] . المصدر نفسه، ص127.

[3] . نفسه، ص164.

[4] . نفسه، ص288.

إذن مثّل "المكتب" وفق هذه الدلالة على أنّه مكان للمقابلة والتكلّم والتحاور، وتحديد المصير، وهو أيضا مكان هادئ يبعث الخوف والقلق وهذا ما يظهر في هذا المقطع: "إنّه مكان مخيف حقا فالهدوء الذي يخيّم فيه أنما هو عبارة عن مدى الوقار الذي يبتغيه العقيد لنفسه، أليس كل هؤلاء الجنود تحت أمره وأنّهم لإرادة لهم إلا يقدّر ما يطلبها منهم العقيد؟ والدليل على ذلك هو تلك الهيئة المنتظمة... فالعقيد صاحب الحل والربط في هذا المكان"[1].

ثم ينتقل الراوي إلى ذكر تفاصيل هذا المكان قائلا: "ثم تظهر قاعة المكتب نفسها للرجال الخمس على أنّها مكان لم يتعودوا رؤية مثله لما فيها من زخارف كالثرياء المتعددة

المصابيح واللوحات الزيتية المعلقة على الجدران إلى جانب خرائط كثيرة.

ولكن الرجال لا يعرفون الخرائط ولم يروا لوحات زيتية من قبل، كل هذه الأشياء غريبة عن محيطهم الفقير، فهم لا يعلمون أنّ تلك الخرائط تفصل الناحية فتشير إلى أسماء الأماكن وتبين مختلف الدروب في الريف وإلى أين يصل من يسلكها، فالعقيد يعرف المنطقة في مكتبه دون أن يخرج"[2].

7- المدرسة الحرة

المدرسة هي ذلك المكان المخصص لالتقاء الدروس والمواعيض ويأتي ذلك في الرواية "إسمه أحمد وهو رجل منا.... يعلم الصغار ويقيم الدروس للكبار كل يوم ساعتان طويلة يشرع فيها الآيات القرآنية تارة ويعطي بعض المعلومات تارة أخرى"[3]، ولم تكن المدرسة مكان للتعلم فقط بل أضحت مكان لنقاشات والمناوشات، استغلته أعضاء جبهة التحرير الوطني لنشر أفكارها وفرض رأيها، ومكان لانتقاء أعضاء جيش التحرير الوطني في المدينة: "فالمدرسة الحرة هي مدارس للأفكار الجديدة على مقابلة كل الطوارئ بما يلزم

[1] . الرواية، ص288.

[2] . المصدر نفسه، ص ص288-289.

[3] . نفسه، ص25.

أن تقابل به عمل في الأوساط الشعبية بالشرح والتفسير وتبسيط الأمور قدر المستطاع وهكذا بدأ الوعي ينشر ويتغلغل في نفوس ويرتسم بوضوح في الأذهان"[1].

وقد استطاعت استقطاب الكثير من الشخصيات "وسيطوع لهذا الشأن كثير منن الشباب... إن عددهم يتزايد يوما بعد يوم وذلك بنظام متواصل وبخطى ثابتة"[2]، وبعد هذا التطوّر المتزايد ونجاح هذه المدرسة في بث أفكارها، لذلك صار لها أتباع كثيرة، وأصبح المعلم يلقي خطبه الحماسية التي تدعوا إلى الجهاد والقتال في سبيل استرجاع الحرية، وأرضهم التي انتزعت منهم وقيام الدولة الجزائرية العربية الإسلامية، كما أشار ذلك الكاتب بالنسبة "للمدرسة الحرة" في المدينة التي شكّلت مند "نشأة جمعية العلماء المسلمين" بقيادة عبد الحميد باديس" كل المعلمين فأبناء الجزائر قد تأثرا بالدروس التي كان يلقيها عليهم لذلك أصبحوا واعيين بعدما كانوا يعانون من الجهل والركود، والمعلم أحمد "إنه رزين وهذا ناتج عن كثافة حضوره دروس الأخ أحمد"[3].

عادة ما يستعمل الشيوخ والأئمة المدرسة لإلقاء الدروس المؤثرة في نفوس الناس لذلك نجد سعيد قد تأثر بتلك الدروس التي كان يسمعها من المعلم أحمد في المدرسة الحرة، لذلك فقد قصده لكي يسأله ويشاوره عن مسألة شخصية وليقدم له النصيحة "ها هو أما المدرسة الحرة، وكن أحمد مشغول، إنه مع الكشافة الإسلامية في القاعة الكبيرة ورغم هذا الكلام فامتثل وبقي يستمع إلى الدرس إلى أن وصل المعلم إلى قل الشيخ عبد الحميد بن باديس..."[4]، بعدما سمع الدرس زاد تأثر سعيد بكلام المعلم المحمل بمعان وقيم "إنه أعجوبة في البيان حتى خلت أن كلامه يوحي به إليه، لو لم أكن قارئ ما يتسر من كتاب الله العزيز لظننت قرآنا مبينا، إنه كالسهام التي لا تخطئ الأهداف بل تصيبها فلا تترك مجالا للشك

[1] . الرواية، ص ص72-73.

[2] . المصدر نفسه، ص139.

[3] . نفسه، ص51.

[4] . نفسه، ص71.

والجدل..، إنك أقنعتني كل الإقناع وأثلجت قلبي واطلعت على قصدي في صورته الحقيقية، ولقد أسهمت المدرسة في بث هذه القيم والمعان ونشرها واحتواء أبنائها، لتصبح المدرسة هي الأخرى محملة بدلالات إيديولوجية يسعى أصحابها إلى تحقيقها.

إهتم الروائي بإبراز دلالة المدرسة الحرة والدور الذي تؤديه في فترة الاستعمار الفرنسي زمن الثورة التحريرية الكبرى "كل المعلمين في جمعية علماء المسلمين متشبعون بالروح العالية التي كان يتميّز بها عبد الحميد بن باديس وأعماله وتضحيته، فإن لم تسمع اليوم أحمد يتكلّم عن إبن باديس فلانه ربما لم يجد الفرصة فقط"[1].

2- الأماكن المفتوحة

هي الأماكن غير محدودة من أبعاده الأربعة ولا سيما السقوف وهو عكس المكان المغلق أنّ الحديث عن الأمكنة المفتوحة، هو الحديث عن الأماكن ذات مساحات هائلة توحي المجهول كالبحر أو توح بالسلبية كالمدينة، (...) وفضاء هذه الأمكنة قد يكشف عن الصراع الدائم بين هذه الأماكن كعناصر فنية وبين الإنسان الموجود فيها[2]، وهذا النوع من الأماكن قد تكون في الغالب فضاء رحب وهو يمتاز بالأفقية الواسعة الذي يرمي إلى الانفتاح الفكري والنفسي فضلا عن الإجتماعي، وتحس فيه الشخصية الروائية بالانتعاش والطمأنينة والأنس والألفة، وغالبا ما يكون هذا المكان لوحة طبيعية في الهواء الطلق، وتنقسم هذه الأماكن إلى أماكن مفتوحة عامة وأماكن مفتوحة خاصة.

ونجد "بحراوي" قد ميّز بين الأمكنة الخاصة (أماكن الإقامة) والأمكنة العامة (الأماكن الانتقالية) ويقول "أما أماكن الإنتقال فتكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة مثل الشوارع

[1] . الرواية، ص51.

[2] . مهدي عبيدى، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص95.

والأحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي"[1].

وهذه الأماكن العامة ليست ملكا لأحد معين ولكنها ملكا للسلطة العامة (الدولة)[2].

وفي بعض الأحيان يتحوّل جزء من المكان المفتوح إلى مكان مغلق في الرواية ولهذا يخرج من انفتاحه إلى آفاق أخرى تجعله مغلقا وهذا حسب محتوى النّص الروائي.

1- الشوارع والطرقات:

من الأماكن المفتوحة الانتقالية التي تشهد تنقلات وحركات الأشخاص بغدوّها ورواحها وانتقالها من أماكن عملها ومقر سكناها، وهو في المدونة ينم عن القلق والخوف من الموت، الخوف من الإعتيالات المستمرة ومن الديانات والرشاشات التي أصبحت تجوّل الشوارع والأحياء، الخوف من أعين الرقباء، كل التحركات أصبحت مخيفة لقد أصبحت الشوارع تثير هاجس الخوف والقلق الدائم.

وفي الرواية كان الشارع خاليا من الناس، كما كان هادئا، وهذا دليل على عدم استقرار الأوضاع في "فيالار" ومن المقاطع التي تبين ذلك قول السارد: "إذن ذلك الصمت العظيم الذي امتاز به سكان ذلك الشارع"[3].

كما نجد صورة أخرى للطرقات في الرواية وهي صورة الدمار والخراب التي شاهدتها مدينة "فيالار" والتي خلقت الهلع والخوف في نفوس سكانها، وهذا ما يوضحه المقطع التالي: "هكذا بدأ جنود الاحتلال يدقون الأبواب بعنف ويدخلون المنازل في تهوّر واصح ورشاشاتهم في أيديهم فأخذ الفزع مأخذه من سكان المدينة حيث أغلق كل شيء ومنع التجوّل مدة العملية، وكان جنود الاحتلال لا يعرفون الشفقة فيعنفون بالأهالي ويكسرون الخزانات إذا

[1] . حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المرجع السابق، ص40.

[2] . سيرا قاسم، بناء الروائية، دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ مهرجان للقراءة للجميع، مكنية الأسرة، 2004، ص44.

[3] . الرواية، ص287.

صعب فتحها أو تعطل قليلا"[1]، كذلك: "ومرّت السيارة نمن نوع "جيب" في شوارع المدينة وكان فيها رجل يتكلّم في بوق معلنا للسكان ألا يغادروا منازلهم لأنّ عملية التفتيش ستبدأ في الحين وأن كل من يوجد خارج منزله سيعتقل"[2] ، وواصل علي مشيه.. التفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا ينتبه إليه فأخرج المسدس ووضعه تحت كتف العميل.. وأطلق الرصاصة فصرخ العميل صرخة واحدة فقط وسقط على الأرض"[3].

نستنتج مما سبق أنّ الشوارع شهدت على أحداث مختلفة، فهي تارة خالية من الناس وفي أحيان أخرى تظهر مكتظة بالناس، وفي كلتا الحالتين فإنّ الشارع جسد الحالة المرعبة التي شاهدتها "فيالار" في تلك الفترة، إذ أنّه حمل عدة دلالات منها الخوف، والرّعب والجريمة.

فالشارع له دوره العظيم وهو من العناصر البيئة الأكثر انتقادا ضمن الأمكنة العامة المفتوحة.

2- الجبل:

هو مكان يحيل في بعض الأحيان إلى انعدام الحرية والقهر والاستلاب الآخر وعلى الظلم، بالرغم من انفتاحه على العالم وعلى الظلم، بالرغم من انفتاحه على العالم واتساعه والإيهام بحرية الأشخاص.

إلا أنّه فضاء يمثل سجنا أكبر يضيق بما رحب، إنّه فضاء القهر الواسع، وفيه تقهر الكلمة والحرية مرة أخرى ليعري الجماعات التي تأوي إلى هذا المكان[4]، والجبل مكان له عدة

---

[1] . الرواية، ص354.

[2] . المصدر نفسه، ص354.

[3] . نفسه، ص280.

[4] . عنية بوحرة، تجليات الدلالة الإيديولوجية وعنف الفضاء (رواية متاهات ليلة الفتنة) لأحمد عياشي) مجلة المخبر، العدد9، 2013، ص191.

أنواع من الأشجار والنباتات والصخور.

والجبل في هذه الرواية يمثل ملجأ المجاهدين (الثوار) الفارين من الاستعمار الفرنسي، رغم صعوبة التضاريس والمسالك وخطورتها، وهذا ما يظهر في هذه المقاطع التالية: "لي مسدس آخر خذ علب الرصاص...أوقف الحمار وأنزل، سننتظرهم وراء هذه الصخور، في هذا المنعرج على يمينك.."[1] ومقطع آخر: "وهذا بقي المجاهدون في أعلى الأشجار يشرفون على الموقف فبدأ المدفع من جديد يزرع الموت والدمار"[2].

و"بدأ جنود الاحتلال يتدفقون في غابة مفتاح... بعدما تركوا الشاحنات على ما يقل عن خمسة عشر كيلومتر من الغابة نظرا لصعوبة تضاريس المكان"[3].

وفي مقطع أخر: "فأمر بانتظارهم نصف ساعة وبعدها سيكون الإنزال نحو الوادي للقاء عبد الغني"[4]،وأيضا: "ثم وزع المئونة.. خبزة من دقيق الشعير وبصلة وقدية صغيرة فيها لترات من الماء"[5].

والجبل في هذه الرواية كان الملجأ الوحيد للثوار (المجاهدين) لمحاربة "الاستعمار الفرنسي" وقواته، وهذا رغم قساوة الجبل وصعوبة التواجد والعيش فيه.

إن الأماكن المفتوحة في هذه الرواية، تسودها الكآبة والصمت الرهيب وذلك لعدم استقرار الأوضاع فيها وتسلط الحكم والسلطة الحاكمة.

3- المقهى:

هو مكان عام يجلس فيه الناس لشرب القهوة أو مشروبات أخرى أو التدخين، فيعتبر

---

[1] . الرواية، ص204.

[2] . المصدر نفسه، ص374.

[3] . نفسه، ص367.

[4] . نفسه، ص375.

[5] . نفسه، ص364.

بمثابة مجلس للشباب، فيجتمعون ويتبادلون الأحاديث، وهي أحد وسائل التواصل الإجتماعي بين الناس للتعرف على أحوال البلاد وارتبطت المقاهي بحسب موقعها بأنّها مقاه أدبية يجلس فيها الأدباء للنقاش والتشاور، وارتبطت القهوة أيضا بالنقاش واللعب، كما تخصصت مقاه أخرى بكونها مقاه يجلس عليها فئة معيّنة من الناس من أصحاب مهنة واحدة ومقاه الفنانين أصحاب المهن الواحدة في منطقة ما[1].

يعدّ المقهى في رواية "شوك الأسى" مكان اجتماع المعمرين الفرنسيين قصد تبادل الآراء والأفكار وشرب الخمر وكذلك اللعب والاستمتاع والراحة، وهذا ما نجده في المقطع التالي "وقد أثبت رجال المخبرات لجيش التحرير أن السادسة والنصف هي ساعة موعد غوميس مع المعمرين الآخرين في مقهى "لويزا" المتطرفة المشهورة، يلعبون فيه "البيلوت"، وكذلك: "أما صاحب العامة الكبيرة فإنه قصد مقهى "لويز" وجلس إلى مائدة وطلب كأسا من الخمر فأحضر له في الحين... ، وكان هو العربي الوحيد الذي يدخل مقهى المعمرين"[2]، وفي حين تحوّل هذا المكان إلى عكس ما كان عليه من قبل، للخوف والدمار والذّعر بعدما وضع صاحب العمامة القنبلة على غوميس وفجّرها عليه، ويوضح ذلك "دخل أنطوان فوضع يده عل وجهه لما رأى من الأجسام الممزقة والدمار عطت أرضية مقهى "لويز"، وخرج أمام المقهى وبدأت الإسعافات تتدرج بسرعة وقد أحضر الجنود كل سيارات الإسعاف وكثر الضجيج في المدينة... وبدأ يمشي بين الجثث وجما لا يستطيع الكلام لكثرة تأثره"[3].

وفي الأخير نستنتج أن "المعراجي" جعل المقهى مكانا لالتقاء المعمرين، للاستمتاع والراحة والتسكع، كما جعل المقهى مكانا لاجتماع رجال الأعمال والسياسيين الفرنسيين قصد تبادل الأفكار والآراء ووضع الخطط.

---

[1]- ar.wikipedia.org /WIKI.com 2020/09/15 القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل القاف، إطلعت عليه يوم على الساعة 16:26.

[2] . الرواية، ص332 .

[3] . المصدر نفسه، ص154.

خاتمة

توصّلت من خلال تحليل دراسة عنصر المكان في رواية "شوك الأسى" لمحمد المعراجي إلى نتائج التالية:

1- أهمية الرواية في عالم الأدب المعاصر، بواسطتها يستطيع الكاتب التعبير عن الواقع المعيش، وهو وسيلة لنقد الأفكار والعبر وتصوير لتجربة متكاملة.

2- يعتبر المكان بنية سردية ينبغي تواجده في الروائي ليكمّل بناؤه.

3- المكان في الرواية له عدّة مفاهيم، ودلالات لارتباطه بما هو موجود سواء كان محسوسا أو مدركا، وبذلك يتجاوز معناه الشائع من قبل، ليتسع بناء الدراسة التي تناولته ومع ذلك فإن أهميته لا يمكن أن تختصر في مكان دون الآخر، لأن دور الأمكنة تتداخل فيما بينها، وهو ما يؤكد أن الرواية لا يمكنها أن تبنى على مكان منفرد، لأن مجموع الأمكنة هو يعطيها تفاعلها وحركتيها.

4- ليس المكان الروائي هو الإطار الذي تجري فيه الأحداث فقط، بل هو أيضا أحد العناصر الفاعلة والفعالة في تلك الأحداث ذاتها، فهو يحتوي على جملة من الأفكار والقيم الإجتماعية والثقافية.

5- المكان هو الذي يضفي جمالية في المتن الرّوائي ويمنحه قوة التجديد.

6- ليست الأشياء مستقرة عن المكان فهو يحويها ويتشكّل من خلالها.

7- ليس المكان عنصرًا منعزلا عن بقية عناصر السّرد وإنما يدخل في علاقات متعددة تتمثل في الشخصيات والزمن.

8- وظّف الكاتب الزمن بشكل مميّز تجلّت جمالياته عبر دلالات المكان مما أعطى تقنيات السرد تماسكا وحضورا من خلال الذاكرة، الاسترجاع فكان نتاج ذلك زمنا إبداعيا يجمع الشخصية بالمكان.

9- جسدت الرواية شخصيات ثورية (المجاهدين) وشخصيات ديكتاتورية طاغية (المستعمر).

10- تنقسم شخصيات رواية "شوك الأسى" إلى شخصيات رئيسية وزمن أمثالها فاطمة وهي الشخصية البطلة في الرواية حيث تقمّصت دورين: دور الخادمة (للتجسس على المستعمر) ودور المجاهدة، ثم نجد شخصيات ثانوية مثل شخصية سعيد وأنطوان وماري واوجيني فقد كان لهم دور مهم في سيرورة الأحداث ووصولها إلى ذروتها، وهناك الشخصيات المساعدة مثل على المعلم أحمد الأعمى.

11- الرواية تصّور لنا واقع الشعب الجزائري في فترة الاستعمار، وهو جزء لا يتجزأ من العالم العربي والإسلامي بكل واقعية وبعيدا عن المثالية والخيال، ففيها الغني والفقير، والصالح والطالح، والسعيد والتعيس، والمنكوب والمحظوظ، والمثقف والأمي.

12- وفيها يخص الزمن قام الكاتب باستعمال تقنيات الاسترجاع بشكل مبالغ فيها، لأن الرواية تصوّر أحداث وقعت في الماضي كما تصوّر مختلف الأفعال المشينة التي قام بها الفرنسيون خلال فترة استعمارهم التي دامت سنين طوال.

13- تعدد المكان في الرواية بشكل واضح، بحيث جرت أحداثها في الكثير من الأماكن متضمنة على مدن وفضاءات أخرى، جمل المكان عدة دلالات وانقسم إلى مكان مفتوح ومغلق للكشف عن أهم الصراعات القائمة بين الشخصيات وركّز الروائي على المدينة وشوارعها وكذلك القرية والريف والجبل التي تعكس الأحداث التي تدور فيها.

14- ركّز الكاتب في روايته على شخصيات وجعلها المحور الأساسي فيها.

15- عبّر المكان في الرواية عن قدسيه ومكانته، فالثورة التحريرية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي لم تكن سوى معبرة عن مدى تعلق شخصيات الرواية بوطنهم.

16- يظهر لمنا في الرواية أن الروائي لم يدقق في جزئيات المكان وإنما اعتبره مكانا عاما للحدث.

17- لقد اشتغل الكاتب في الرواية "شوك الأسى" عل عنصر المكان ولا غرابة ذلك أن يعد المكان (الجزائر) مدار الحدث في الرواية ككل، كما أنه قدّمه بطريقة مباشرة وكثيرا ما يتحدث عنه.

18- يظهر لنا في الرواية أن الروائي لم يدقق في جزئيات المكان وإنما إعتبره مكانا عاما للحدث.

19- إن القارئ للرواية يجد بأنها تعتبر رواية تاريخية بالدرجة الأولى.

20- وظّف الكاتب في الرواية أماكن حقيقية من الواقع مثل الجزائر العاصمة، وهران، تيسمسيلت) وغيرها.

21- اهتمام الروائي بالمضمون والأفكار أكثر من إهتمامه بالشكل الفني، فالهدف من هذا العمل هو إبلاغ رسالته للقارئ من خلال نقد الواقع، فقد عبرت الرواية عن التمزّق والتشتت الذي يعاني منه الجزائريون في وطنهم فقد حاولت الرواية عرض هذا للواقع من خلال رؤية أدبية وجمالية خاصة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- محمد المعراجي، شوك الأسى، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004.

ثانيا: المراجع بالعربية والمترجمة

أ- المعاجم:

1- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، ج13، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1994.

ب- الكتب والدراسات:

1- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون (لبنان)، منشورات الإختلاف (الجزائر)، ط1، 2010.

2- الرويلي ميحان، البازغي سعيد ، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

3- الفيصل روحي سمير، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، منشورات اتحاد الكتاب الغرب، دمشق، (دط)، 2013.

4- الظل حورية، الفضاء في الرواية العربية الجديدة، مخلوقات الأشواق الطائرة، لإدوارد الخراط نموذجا، دار نينوى الدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2011.

5- النصير ياسين، الرواية والمكان، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1982.

6- باديس فوعالي يوسف، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.

7- بحراوي حسن، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصيات)، المركز الثقافي العربي المغرب، ط2، 2009.

8- بوعزة محمد، تحليل النّص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

9- حميد لحميداني، بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط3، 2000.

10- سعيد حورانية، جماليات المكان في قصص، دراسات في الأدب العربي، منشورات الهيئة العامة السورية، دمشق، سوريا، ط1، 2011.

11- قاسم سيرا، بناء الروائية، دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ مهرجان للقراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2004.

12- عبد المعطي محمد علي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط2، 1984.

13- عبود أوريدة، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية لنفوس ثائرة، دار الأمر للطباعة، الجزائر.

14- عبيدي مهدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011.

15- عقاق غادة، دلالة المدنية في الخطاب الشعري العربي المعاصر (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان).

16- نجمي حسن، شعرية الفضاء السردي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

17- هيثم علي الحاج، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص141.

ت- المراجع المترجمة:

18- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.

19- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1987.

ث- المجلات والوريات

20- أكبر موسى مريم ، محمد حقاني أصفهاني، دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال، إصدارات نقدية، العدد 9، 2012.

21- بوحزة عنية، تجليات الدلالة الإيديولوجية وعنف الفضاء (رواية متاهات ليلة الفتنة) لأحمد عياشي) مجلة المخبر، العدد9، 2013.

22- زوزو نصيرة ، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 6، 2010.

23- عيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفهومتية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2، 2010.

ج- مذكرات الماجستير

24- الحربي رحيم علي جمعة، المكان ودلالته في الرواية العراقية، (رسالة الماجستير) قصي حاسم أحمد الجبوري، المكان في روايات تحسين كيرماني، جامعة آل البيت، 2015.

25- العمري سعيدة، خديجة معموري، بنية الزمان والمكان في الرواية زهرة العوسج لراضية فعلول، (رسالة الماجستير)، جامعة بسكرة، 2008.

ح- المواقع الإلكترونية

26- القاموس المحيط، باب الواو والياء، فصل القاف، ar.wikipedia.org /WIKI.com إطلعت عليه يوم 2020/09/15 على الساعة 16:26.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

استهلال بالآية

كلمة شكر

إهداء

مقدمة.....2

الفصل الأول:

بناء المكان في النّص الروائي

المبحث الأول: ماهية المكان.....5

1. المكان لغة.....5

2. المكان اصطلاحا.....6

المبحث الثاني: علاقة المكان بتقنيات الرواية الأخرى.....14

1 . علاقة المكان بالشخصيات.....15

2 . علاقة المكان بالزمان.....18

الفصل الثاني:

تنوّع المكان في رواية "شوك الأسى" لمحمد المعراجي

المبحث الأوّل: الأماكن المغلقة.....22

1 . البيت.....23

2 . الكوخ.....25

3 . المسجد.....25

4 . الغرفة.....27

5 . القاعة.....28

6 . المكتب.....29

7 . المدرسة الحرّة.....39

المبحث الثاني: الأماكن المفتوحة.....32

1 . الشوارع والطرقات.....33

2 . الجبل/ الغابة.....34

3 . المقهى.....35

خاتمة.....38

قائمة المصادر والمراجع.....42

فهرس المحتويات

ملخص

ملخص:

تندرج هذه الدراسة في سياق محاولة البحث عن المكان في رواية "شوك الأسى" للروائي الجزائري محمد المعراجي، ومن خلال خطاب روائي يعكس الواقع بواسطة أماكن واقعية، وعليه فالمكان الروائي من العناصر الأدبية الهامة، فلا يمكن أن تبنى رواية بدون مكان، كون أحداث الرواية تتطلب مكان يحويها.

وقد حاولت في بحثي هذا لكشف عن ماهية المكان وعلاقة المكان بالشخصيات والزمن وأنواع في الرواية معتمة على المنهج النقدي البنيوي لأنني قمت بدراسة بنية المكان واختتمته بمجموعة من النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفتاحية: المكان، الرواية، المنهج النقدي البنيوي، "شوك الأسى"، الشعرية، جمالية، أدبية، الشخصية، الزمن.